الورقة الخامسة

نتائج المعركة وانعكاساتها الداخلية والخارجية

إسحاق الفرحان*

تأتي هذه الندوة "معركة غزة" بأبعادها الاستراتيجية المختلفة العسكرية والسياسية والإعلامية والاجتماعية، في الوقت المناسب للتفكير في مرحلة أو مراحل ما بعد هذه المعركة التي تعد انتصاراً لأهلنا في غزة بخاصة وفلسطين بعامة، بل وللعرب والمسلمين بصورة أعم، في عصر ذقنا فيه كثيراً من الهزائم والانتكاسات لعقود عدة مضت، ولكن الأمل يتجدد، وبعد معركة غزة، معركة الفرقان، رغم التضحيات الكثيرة من الشهداء والجرحى، وجرائم تدمير الحرب غير الإنسانية، مما يمكن أن نعتبرها من طرف العدو "هولوكوست غزة"، ومن قبلها هولوكوست القدس، وبل منذ الانتداب البريطاني على فلسطين، ودعم الحركة الصهيونية من قبل الإمبراطورية الأمريكية حتى يومنا هذا، ويمكن اعتبار جرائم الحرب الإنجليزية والصهيونية والأمريكية في فلسطين هولوكوست فلسطين.

لا بد من التركيز على بعد واحد، هو بعد الانتصار في معركة غزة في أوائل الشهر الأول من هذا العام ٢٠٠٩، وقد مضى على نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ ستون عاماً، وعلى حرب الأيان الستة أو إن شئت الساعات الست عام ١٩٦٧ أربعون عاماً، وبالأمس القريب عام ٢٠٠٦ انتصر حزب الله على آلة الحرب الإسرائيلية في جنوب لبنان بعد ٣٣ يوماً، كما انتصرت حركات حماس والجهاد والمقاومة الوطنية في غزة على العدو الإسرائيلي وآلته الحربية التي تعد من أقوى خمس قوى عسكرية في العالم بعد ٢٣ يوماً، "وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ من ينصره إن الله لقوي عزيز".

واعتبار المعركة انتصاراً لطرف من أطراف المعركة قد يختلف فيها الباحثون

---

* **د. إسحاق فرحان/** رئيس ملتقى القدس الثقافي

والمؤرخون، ولكن المحلل الاستراتيجي لا يقيمها بمقدار القوة العسكرية للجيش الغازي أو للدمار وعدد القتلى للشعب الذي يتلقى الضربات، ولكن ينظر إلى ما جرى أثناء المعركة من دوافع وعوامل ومظاهر، وما بعد المعركة من آثار وعواقب ونتائج.

أما ما جرى بالقياس الكمي العددي، فشعب غزة محاصر منذ عامين، جوا وبحرا وبرا، حتى في معبر رفح إلى مصر العروبة والإسلام، نتيجة عوامل سياسية وكوابح إقليمية ودولية، ومؤامرات اشترك فيها القاصي والداني على تعميق الفجوة بين أبناء فلسطين في الضفة والقطاع، وأما الآلة العسكرية عند أهلنا في غزة فمتواضعة أشد التواضع بالنسبة إلى الآلة العسكرية الإسرائيلية المدمرة، ومساحة أرض القطاع ضيقة، حوالي ٤٠٠ كم^{٢}، والكثافة السكانية عالية ١,٥ مليون، أي ٤ آلاف نسمة في كل كم^{٢}، مما يجعل السكان المدنيين من أطفال ونساء وشيوخ هدفا سهل المنال للحملة العسكرية الصهيونية الباغية، إضافة إلى استهداف المؤسسات المدنية غير العسكرية من مستشفيات ومدارس وجامعات ودوائر خدمات حكومية، وحتى مؤسسات الأونروا التابعة لهيئة الأمم المتحدة.

وأما جيش العدو، خامس جيش عسكري في العالم من حيث القوة، فمزود بأحدث الأسلحة الأمريكية من طيران عسكري وسفن حربية وأسلحة برية فتاكة، ومنها محرمة دولياً، فالمقارنة العسكرية ليست واردة في حسابات المقارنة مع شعب أعزل، عدته الأساسية الإيمان بحقه في الحياة، وإرادة الصمود والمقاومة الباسلة للمحتل الغازي، حتى النصر أو الشهادة.

لقد علمتنا دروس التاريخ أن النصر النهائي لا يكون للمحتل الغازي ولا للمتعدي الباغي، ولكنه لصاحب الحق المؤمن بحقه، وصاحب الإرادة الصابرة والمجاهدة في الدفاع عن حقه في الحياة والعيش بكرامة، وهذا ما تعلمناه من معركة غزة.

وفيما يلي بعض الملاحظات العامة حول شعارنا اليوم "وانتصرت غزة":

أولاً: لا مجال للمقارنة بين قوى العدو الإسرائيلي العسكرية، وبين قوى الشعب المجاهد

في غزة، ولذلك لا يمكن أن يقاس النصر بمقارنة هذه القوة وآثارها بين الغازي الظالم المدجج بالسلاح والشعب الأعزل من السلاح، فآثار التدمير للبشر والحجر والشجر كبيرة، ولكنها ليست هي مقياس النصر، فرغم كل هذا الدمار، لم تهزم إرادة الشعب، ولم تتحطم معنوياته، بل بقي صامداً طيلة أمد الحرب، حتى ارتد العدو على عقبيه، ومن هنا فإن ارتداد العدو الذي لم يحتل جوهر الأرض، بل بقي يراوح على أطرافها مخلفاً الدمار البشع، لا يعد انتصارا له، بل مقاومة المجاهدين وصبر الشعب على الدمار يعد انتصارا للمقاومة.

ثانياً: رغم الدمار الذي ألحقه العدو بالأهداف المدنية لأهلنا في غزة، إلا أنه لا يمكن اعتبار هذا الدمار انتصاراً له، بالمقاييس الإنسانية العالمية، لأن الانتصار العسكري يكون على الجيوش المتحاربة، وليس على المدنيين العزّل، ولذلك فالمعركة غير متكافئة لأنها كانت بين جيش عسكري غازٍ، وشعب مدني أعزل محاصر، ولذلك تعد المعركة طعنة نجلاء في إنسانية الجيش الغازي، ولا تعد انتصاراً عسكرياً بين قوى غير متكافئة.

ثالثاً: إن صمود الشعب في غزة أثناء الحرب، وثباته على ممارسة الأخلاق الحضارية، وعدم حدوث الفوضى والبلبلة نتيجة كثرة الشهداء والدمار، وصبره على الحصار بعد المعركة يعد انتصارا لأخلاق الشعب، وارتباطه بخيار المقاومة مهما بلغت التضحيات، الأمر الذي له ما بعده في الحياة المستقبلية لهذا الشعب، ولانحطاط المعنويات لدى الغزاة الذين باتوا يدركون أن القوة العسكرية لن تحل القضية الفلسطينية لصالحهم، والذين سيكتب عليهم الرحيل ولو بعد حين ومهما طال الزمن.

رابعاً: لقد كان الشعور عند أهل الضفة الغربية تجاه إخوانهم في غزة، مليئاً بالحماس والمشاركة الوجدانية، ولم تتح لهم فرصة القيام بانتفاضة ثالثة مستثمرة وضع الحرب في غزة، ولو تم ذلك لكان له أثر كبير لدى إخواننا في غزة، وعلى المستقبل

السياسي للوضع المأساوي في الضفة، من حيث التسلط الأمني الإسرائيلي-الأمريكي على الشعب الأعزل هناك، واحتجاز آلاف الأسرى والمجاهدين، بحجة التنسيق الأمني السياسي من أجل التسوية السلمية العبثية.

خامساً: أما التوعية الشعبية في العالم العربي والإسلامي والجاليات الإسلامية في أوروبا وأمريكا فقد كان متنامياً ومتواصلاً طيلة أيام الحرب الثلاثة والعشرين، مما ولَّد وعياً عربياً وإسلامياً وإنسانياً لدى جميع هذه الشعوب، بحيث زاد الوعي والإدراك بالجرائم الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني، بل ضد حقوق الإنسان وحريته وكرامته، مما زاد من التعاطف مع الشعب الفلسطيني وزاد من انتقاد الممارسات الإسرائيلية على جميع المستويات الرسمية والشعبية، وسيكون لذلك تأثيرات سياسية واستراتيجية مؤثرة على مستقبل القضية الفلسطينية، والمأمول أن يبقى هذا الوعي الشعبي لدى الأمة العربية والإسلامية مستمراً، لرفع منسوب التعاطف مع القضية والمساندة العملية لشعب فلسطين المحتل.

سادساً: المأمول كذلك، أن يكون من نتائج هذه الحرب إيجاد صيغة للحوار والتوافق بين أبناء فلسطين، في الضفة والقطاع، والاتفاق على حكومة وحدة وطنية، تجمع بين خيار المقاومة الدائم والسعي إلى تحقيق مكتسبات سياسية وتفاتوضية مرحلية، يرضى بها الجميع، حتى يفرج الله الكرب عن هذه الأمة، ومهما كانت صيغة التوافق، ينبغي أن يكون خيار المقاومة أولاً خياراً استراتيجياً، حتى يتحقق النصر للأمة في نهاية المطاف.

سابعاً: كما أن المأمول أن تؤدي نتائج هذه الحرب إلى إدراك عربي رسمي بضرورة توحيد الموقف العربي والجامعة العربية تجاه التعامل مع العدو الإسرائيلي، وعدم تجزئة الموقف العربي إلى اعتدال وتشدد، فالكل يجب أن يكون موقفه واضحاً إزاء ثوابت القضية الفلسطينية، وبخاصة موضوع القدس، وتطبيق حق العودة، وإزالة المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧، وإزالة الجدار العنصري،

وسائر الإجراءات الإسرائيلية التي قضمت ما يزيد على ٨٨٪ من أرض فلسطين العربية.

ومن هنا، فإن نصرة فلسطين من جانب الحكومات العربية تعني وقف التطبيع وتجميد العلاقات الدبلوماسية، تمهيداً لقطع العلاقات السياسية، حتى يعود الحق إلى نصابه وإلى أهل فلسطين، ولو بعد حين، "ولينصرن اللهُ من ينصره، إن الله لقوي عزيز".

الملاحـــــــــق

- كلمات الافتتاح
- الكلمة الختامية
- التعريف بالمشاركين
- برنامج الندوة